الدعوة والجهاد ودورهما في بناء الشخصية العسكرية المسلمة

إعداد

أ.د. علي فريد دحروج

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بيروت ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧م.



﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا
وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
[العنكبوت/ ٦٩]





المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان. وبعد:

فعلى امتداد التاريخ الإنساني كله لم تعرف البشرية نظرية أو مبدءاً أو فلسفة أو ديناً يحيط بجوانب الحياة كلها، ويعالج قضايا الإنسان في وجوده وواقعه ومستقبله إلا في الإسلام، هذا الدين الشامل الذي جاء ليخرج الناس من العبودية للعباد إلى العبودية لله وحده. دين لا يعرف أنصاف الحلول ولا يخادع ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ(٣) ﴾ [الكافرون ١-٣]. (دين يتسم بالواقعية الحركية، فهو حركة ذات مراحل، كل مرحلة لها وسائل مكافئة لمقتضياتها وحاجاتها الواقعية، وكل مرحلة تسلم إلى المرحلة التي تليها ... لتصل إلى تعبيد الناس لله وحده)[١] . فالإسلام مخلص في الدعوة وفي الجهاد إليها من أجل مرضاة الله تعالى، وهو دقيق جداً في الضبط التشريعي للعلاقات بين المجتمع المسلم وسائر المجتمعات البشرية، وقيام ذلك الضبط على أساس أن الإسلام لله هو الأصل العالمي الذي يجب على البشرية أن تفيء إليه، وأن تخلي بينه وبين كل فرد يختاره أولاً، ويختاره بمطلق إرادته [٢].

من هنا كان الجهاد محطة كبرى في تاريخ الدعوة الإسلامية يسعى بمنهجية سليمة لتغيير مسار البشرية في المجالات الخلقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، شرع لحماية الدعوة ودفع مسيرتها الهادية لكل الناس، إحقاقاً للعدل وإعلاءً لكلمة الله، ولا يكون ذلك إلا إذا ترسخت تعاليم الإسلام لا سيما في ما يتعلق منها بالجانب العسكري والجهادي في نفوس المجاهدين، في نفوس المقاتلين الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن الحق والحقيقة مهما كانت الصعاب والعقبات، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت الشخصية العسكرية للمسلم شخصية نابعة من تعاليم القرآن وهدي الإسلام الذي جعل أساس هذه الشخصية قائماً على الولاء والبراء والطاعة والالتزام، فالمجاهد المسلم عليه أن ينكر ذاته أمام عظمة الإسلام، ولا يضع في ذهنه سوى إرضاء الله تعالى، فليس هدفه الجاه وحب الظهور والمال والغنيمة، وإنما التضحية فداءً للعقيدة وهداية للناس [٣].

حول هذه المعاني والأفكار يأتي بحثنا المتواضع: الدعوة والجهاد ودورهما في بناء الشخصية العسكرية المسلمة ليلقي الضوء على العلاقة بين الدعوة والجهاد باعتبارهما أصلاً من أصول حركة الإسلام ومسيرته إلى قيام الساعة، وأثر هذه العلاقة في تنمية الشخصية العسكرية المسلمة وبنائها على ثوابت العقيدة وأصول الشريعة، إذ لا مفهوم حقيقي للجهاد إلا من خلال سلوكيات الشخصية

---

[١] قطب، سيد، في ظلال القرآن، ١٤٣٢/٣ .

[٢] حلاق، د. عبد الله، الصحوة الإسلامية، ص٣٤.

[٣] المودودي، أبو الأعلى، الجهاد في سبيل الله، ص٢٩-٣٠.



العسكرية المسلمة، ولا قيمة للدعوة للإسلام إلا إذا رافقها فكر جهادي يقوم على التوازن بين المبدأ والهدف. المبدأ في تطبيق قواعد الإسلام وتعاليمه كلها على مستوى الفرد والجماعة والمؤسسة، والهدف في إيصال ونشر هذه التعاليم لكل الناس. وعلى هذه المنهجية قام الجهاد في الإسلام، دعوة إلى الله تتخطى الحدود الجغرافية الضيقة للأمم والشعوب وبالتي هي أحسن.

ولكي نتبين عملية الربط المنهجي بين الدعوة والجهاد في سبيلها وأثر ذلك كله في بناء الشخصية العسكرية المسلمة كان لا بد من توضيح مصطلحات البحث ومنطلقاته وفق التصور التالي:

أولاً : في معنى الجهاد والفكر الجهادي، مشروعيته وطروحاته، غايته وأهدافه .

ثانياً : في معنى الشخصية العسكرية، مقوماتها، أركانها، وصفاتها ومؤهلاتها.

ثالثاً: الشخصية العسكرية المسلمة عنوان وحدة الأمة ونهضتها.

والله أسأل أن يكون هذا البحث ثمرة متواضعة تؤتي أكلها في رحاب هذا الملتقى القرآني الذي نرجو له النجاح والرضا في تحقيق غاياته والوصول إلى أهدافه، إنه سميع مجيب.



أولاً: الجهاد والفكر الجهادي في القرآن الكريم:

١- مشروعية الجهاد والفكر الجهادي:

احتل الجهاد بمضمونه ومرادفاته مساحة كبيرة في القرآن الكريم، الغاية منها تمكين شرع الله في الأرض وإقامة المجتمع المسلم دون ما إشهار للسيف أو رفع لسلاح. هذا هو الأصل في قيام الدعوة إلى الله تعالى [١].

وبهذا جاءت الآيات القرآنية ناطقة بمبدأ الغفران والتسامح: ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [آل عمران/ ١٥٩] . ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة / ١٣] ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت/ ٣٤]. ﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُون أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الجاثية/ ١٤]. وغيرها كثير من الآيات التي أقامت صرح الدعوة على أساس الكلمة السواء والمحبة والتسامح والغفران.

لكن النفس الإنسانية بما جبلت عليه من نوازع وأهواء قد لا تستجيب تلقائية لداعي الإيمان، فتعمل على إيقاف مسيرة الهدى وتعطل حركة الاتجاه نحو النور، فتقف حجر عثرة أمام متطلبات الدعوة ونشرها، فإذا بصوت الحق ينطق قائلاً : ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً ﴾ [الفرقان/ ٥٢] . فكان الثبات في مواطن الشدة، ثبات الرسول ﷺ وأصحابه على الحق وإعلائه مهما جرّ ذلك عليهم من ويلات وأذى. وهنا تظهر عظمة الدعوة إلى الله تعالى في مشروعية الجهاد لتتسع لكل المعاني الموصلة إلى هذا الهدف النبيل. ولا تقتصر بالتالي على لون واحد فقط كالقتال ونحوه. فالصبر والمصابرة والمرابطة ومجاهدة النفس وقول الحق والصمود، كل ذلك من معاني الجهاد الذي شرعه الله في القرآن الكريم تكريماً للإنسان في إنسانيته وتفضيلاً له على سائر مخلوقاته [٢].

وإذا كان الرسول ﷺ قد أمر بأن يقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن من أصرّوا على عبادة الأوثان بعد قيام المسلمين بواجب دعوتهم للحق وبيان ما يجب أن يقوموا به، صار لزاماً عليهم أن ينصاعوا لدعوة الإسلام والإ وجب فيهم القتال ردعاً للباطل وإحقاقاً للعدل. فالربط بين شرائع الجهاد المتنوعة والظروف الملائمة لكل منها أمر مهم جداً . فالحالة التي يكون الجهاد فيها مجرد دعوة باللسان، مع الصبر المستمر على الأذى الناتج عنها، غير الحال التي يكون فيها الجهاد مقاتلة لكل من أبى عن النطق بالشهادتين، وغير الحال التي يكون الجهاد فيها قتالاً لكل من صدّ عن بلوغ الدعوة مداها. ومهما تنوع الجهاد واختلفت أساليبه، فإن مصدر قدسيته إنما يتمثل في كونه سبيلاً للوصول إلى الحق

---

[١] هيكل، د. محمد خير، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ٣٧٢/١.

[٢] البوطي، محمد سعيد رمضان، الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه وكيف نمارسه؟ ، ص٢٢.



وإيصال الآخرين إليه، وللابتعاد عن الباطل وإبعاد الآخرين عنه. والتعريف بالإسلام ودعوة الناس إليه بالحوار والاقناع هما منطلق الجهاد وأساسه ومصدر تفرعاته وأنواعه. ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل/١٢٥] . فالساحة الجهادية الأولى هي ساحة للدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أما الجهاد والقتال بأنواعه المختلفة فإنما هو فرع عنها وحصن لها. وعلى هذا (فإن وجوب القيام بنشر علوم الشريعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب، وهناك حرمة القفز فوق هذا الواجب إلى الأعمال القتالية) [١].

والجهاد بالقلب وباللسان وباليد: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة/ ٧٣]. إن منطلق الجهاد والركن الأول والأصيل في بنيانه ومشروعيته إنما هو القيام بأعمال الدعوة والتعريف بالإسلام وعلومه ونشرها بين الناس ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٤] . والمرجعية هنا إمام الأمة الذي يختار ويوظف للنهوض بهذا الواجب من يراهم أهلاً للنهوض به، وأن يمنع عنه من يراهم غير مؤهلين له، وإن تحققت الغاية من ذلك سقط الوجوب عن الباقين. وعظمة الجهاد والدعوة هنا أنهما لا يقومان على القسر والإكراه، وإنما على النصيحة الطوعية [٢] .

أما الجهاد القتالي فهو نتيجة لا بد منها للجهاد الدعوي إن تعثر، ومعلوم أن المسلمين في مكة، مع انبثاق دعوتهم كانوا يعملون في مناخ جاهلي، وكانوا قلة في وسط كثرة من الناس المشركين، وكانوا يفتقرون إلى دار الإسلام، إذ لم يكن لهم أي حق ثابت ينهضون لحمايته، فهم مضطهدون ومطاردون. ثلاث عشرة سنة من الصبر والثبات والعزيمة مع قلة العدد والعدة، يصاحبه عفو وتسامح وغفران عند المقدرة والكثرة عندما أذن الله لنبيه وللمسلمين بالقتال. فكانت مشروعية الجهاد أساساً انطلق من السهر على رعاية الدولة وحمايتها والدفاع عنها. ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج/ ٣٩]. فصيانة دار الإسلام أرضاً ونظاماً وجماعة مسلمة واجب محتم على كل مسلم، لا لمغنم مادي أو جاه دنيوي[٣].

يقول الشيخ محمود شلتوت: (إن سبب القتال ينحصر في ردّ العدوان وحماية الدعوة وحرية الدين، وتطهير الأرض من الطغيان والمظالم) [٤]. وإن الله وضع للمؤمنين قانوناً في الجهاد يدفعون

---

[١] المرجع السابق، ص ٤٧. وقارن به: الخياط، د. محمد نبيل، وإذا أعيد قراءة الجهاد، ص١١٣.

[٢] البوطي، محمد سعيد رمضان، الجهاد في الإسلام كيف نفهمه، وكيف نمارسه؟ ، ص ٤٩.

[٣] شبلي، د. رؤوف، الجهاد في الإسلام منهج وتطبيق، ١/ ٢٧. وقارن به : القاسمي، ظافر، الجهاد والحقوق الدولية في الإسلام، ص ٢٠٦ وما بعدها.

[٤] شلتوت، الشيخ محمود، الأجزاء العشرة الأولى من تفسير القرآن الكريم، ص٥٤٠.



فيه عن أنفسهم ويدفعون من خلاله شر الأعداء [1]. ومن هذا المنطلق كان قتال النبي ﷺ وصحابته معه ومن بعده.

إن نظرة فاحصة ومتأنية في آيات القرآن الكريم الداعية للقتال والجهاد، وكذلك أحاديث النبي عليه السلام تعطينا فكرة واضحة لا لبس فيها ولا غموض حول تكوين الشخصية العسكرية المسلمة منذ بداياتها الأولى وحتى استقرت على عودها قائمة تؤتي ثمارها[2] .

٢- طروحات الفكر الجهادي: أهداف وغايات:

إن الجهاد مشروع واجب بكل الوسائل الممكنة ضد من يحاول تقويض دور الإسلام أو هدم بنيانه وتعاليمه. فالرسول ﷺ وصحابته لم يقاتلوا من أجل الحصول على دار إسلام، ولم يقاتلوا في سبيل بناء دولة إسلامية، وإيجاد حشد من المسلمين تتألف منهم تلك الدولة، ويتحقق بهم نظامها، وإنما قاتلوا بعدما منحهم الله كل ذلك حراسة للدين ودفاعاً عنه [3] .

وبالرجوع إلى آيات الله الجهادية وأحاديث المصطفى عليه السلام في هذا المجال يتضح لنا أن الجهاد قانون شرعه الله لرفع الظلم عن الناس، وتشريع يحمي الإنسان من ظلم أخيه الإنسان، لجعل الحياة أكثر أمناً وسلاماً واستقراراً ومواءمة للعيش فيها، ورفع الحيف والتبكيت عن المستضعفين حيثما كانوا. ولا ريب أن النصوص تحتشد لتؤكد هذا الاتجاه وهذا المعنى. فالقرآن بدعوته للجهاد إنما دعا للدفاع عن الإنسان وجوداُ وحرية وكرامة، ضد كل معتد أثيم، فهو تكليف شرعي واجب لإقامة عالم تسوده مشاعر الحب والعدل واحترام الحقوق وسيادة القانون وتكافؤ الفرص[4]. يقول تعالى: ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود/٨٨].

وما كان للدعوة الإسلامية أن تنتشر إلا بفضل المنهج السوي الوسطي الذي دعا إليه القرآن وبيّنته سُنَّة المصطفى عليه السلام، سيرة وأحكاماً، ونفَّذه الصحابة مسلكاً وحضارة. إن غاية الغايات هي أن يرى المجاهد أمله قد تحقق بفعل ثورة الإيمان الكامنة في أعماق نفسه، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال القدوة الحسنة التي أرساها رسول الله ﷺ في نفوس أصحابه، سواء في أسلوبه أو إدارة العمل أو التوجيه أو الصبر على الشدائد [5]. ومعلوم أن شرف العمل من شرف غايته، والعمل هنا

---

[1] الشيخ الركابي، الجهاد في الإسلام، ص٢٢٧.

[2] السيوطي، جلال الدين، أربعون حديثاً في فضل الجهاد، ص ٨.

[3] البوطي، م. س.، ص٢٠٢.

[4] الشيخ الركابي، م. س. ، ص١٤.

[5] كمال، مصطفى أحمد، المدرسة العسكرية الإسلامية الأولى، ص٨.



هو الجهاد الذي أرتضاه الله عنواناً للأمة الإسلامية، ولا يمكن لنا فهم أبعاد الجهاد إلا إذا أدركنا وبوعي تام بصمات الإسلام الكلِّية في مجال الحرب والتي هي:

-تطوير نظرية الحرب وتعديلها بما يناسب طبيعة القتال.

-تهذيب فكرة الحرب والارتقاء بأسبابها ودوافعها وأغراضها.

-وضع أسس الإعداد للمعركة بأسلوب ومنهاج يضمن النصر.

- إرساء القواعد والأصول والمبادئ التي تحقق كسب المعركة.

-معالجة ما قد ينجم عن الحرب من آثار ونتائج بما يتفق مع إنسانية الإنسان، حفاظاً على حياته وأمنه وكرامته وبشريته[1].

بهذه البصمات تبلورت شخصية الجندي المسلم، سيما وأن إيمانه كان غذاءً روحياً لرفع معنوياته واستجابته كلما دعا داعي الجهاد: حي على الفلاح. فكان التسابق والإقدام ليكون في المقدمة ديدن كل جندي في الجيش الإسلامي، وهو عندما يخرج إلى القتال يخرج بقلب ثابت لا يهتز ولا يرتجف، يهجم في عنف وصلابة، واضعاً نصب عينيه إحدى الحسنيين: إما النصر وإما الشهادة.

لهذا جعل الإسلام للجهاد مرتبة خاصة، فهو أسمى العقائد الدينية وأفضل الأعمال الربانية، بل هو ذروة سنام الإسلام. يقول تعالى : ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء/ ٩٥].

إن الأمم لا تظهر على أعدائها بكثرة المقاتلين عنها، وإنما تحرز هذا الظهور بما يتمتع به هؤلاء المقاتلون من روح معنوية عالية، وبما يحمي ظهورهم من نفير عام في الأمة يفرض على كل فرد في موقع عمله أن يكون جندياً مجاهداً، يعطي أكثر مما يأخذ، ويعمل في صمت، ولا يعنيه إن أشاد الناس بما قام به أو قدم أو غفلوا عنه، لأنه في شغل عن ذلك بالجهاد في إحسان، إعلاءً لكلمة الله [2] .

قال عبد الله بن رواحةﷺ: (ما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور وإما شهادة).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: (ما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة، وأن لا يردّه إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده ،إن نعيم الدنيا ليس بنعيم، ورضاها ليس برضاء، وإنما النعيم والرضا في الآخرة).

---

[1] فرح، محمد، المدرسة العسكرية الإسلامية، ص ٢٨-٢٩.

[2] الدسوقي، محمد، دعائم العقيدة في الإسلام، ص ١٣٥.



ولأن الجهاد في أروع معانيه صورة بذل للأنفس، والإنسان بفطرته يحرص على الحياة ويكره القتال، كان أمر الإسلام بالجهاد مقروناً بما أعدّه الله للمجاهدين من الأجر العظيم، يقول الله تعالى: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ [النساء/ ٧٤]. فغاية الجهاد إذن هي نصرة الحق، وهدفه حماية السلام وتحريم الاعتداء واحترام آدمية الإنسان.

لقد كانت وصايا رسول الله ﷺ لجيش المسلمين أن: "**اغزوا باسم الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا. ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا**" [١]. ومن وصايا أبي بكر الصديق رضي الله عنه لجيش أسامة حين بعثه إلى الشام: (لا تخونوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولاتعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)[٢]. وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي أمراء الجنود بقوله: (ولا تقتلوا هرماً ولا امراة ولا وليدا، وتَوَقّوا قتلهم إذا التقى الزحفان، وعند شن الغارات)[٣]. فإذا كانت الدعوة قائمة على هذا النوع من الجهاد، وإذا كان الجهاد بهذه الأساليب ولهذه الغايات والأهداف. فأية شخصية عسكرية يمكن أن يصقلها هذا الجهاد ؟ بل أية شخصية عسكرية يجب أن يكون عليها الجندي المسلم؟

[١] صحيح مسلم (٤٤٩٧)، كتاب الجهاد، باب تأمير الأمراء على البعوث ، وسنن الترمذي(١٤٠٨) ، كتاب الـديات ، باب ما جاء في النهي عن المثلة .

[٢] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢/٢٠٠ .

[٣] تاريخ الطبري،٤/ ٨٧ وما بعدها، ٥/ ١٩٠ وما بعدها.



ثانياً : الشخصية العسكرية المسلمة

١- في معنى الشخصية والشخصية المسلمة:

تعدّد مفهوم الشخصية تبعاً لتعدّد العلوم الكاشفة عن طبيعتها وأسرارها ومكوناتها، فهي كما يراها بعض علماء النفس بأنها (مجموع الأنشطة التي يمكن اكتشافها عن طريق الملاحظة الفعلية للسلوك لفترة كافية بقدر الإمكان، وذلك لكي تعطي معلومات موثوقاً بها)[١] . أو هي (سمات الفرد كما يبدو في عاداته الفكرية، وتعبيراته واتجاهاته واهتماماته وأسلوبه في العمل، وفلسفته في الحياة) [٢]. ويعرفها كارل مايكل بأنها: (التنظيم الفعلي المتكامل للإنسان خلال مرحلة معينة من مراحل نموه، كما تتضمن جميع الجوانب من معرفية ومزاجية وأخلاقية، بالإضافة إلى مهاراته واتجاهاته التي كونها خلال حياته)[٣] . وهناك من عرّفها بأنها: (صورة الشخص التي تنعكس على علاقاته مع أبناء جنسه من البشر، وهي عبارة عن الظروف السلوكية التي تصدر عن الفرد، بسبب اختلاف المواقف التي يستجيب لها) [٤]. وهناك تعريفات أخرى كثيرة لسنا هنا لنعرض لها، لكن لا بد من الإشارة إلى أن الجمع بين الصفات الجسدية والخصائص الوجدانية أمر مهم في تكوين صورة الشخصية، ولقد جاء في الموسوعة العربية الميسرة أنها: (نظام متكامل من مجموع الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والمعرفية التي تعيّن الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد تمييزاً بيّناً) [٥].

نخلص مما ذكرناه بأن الشخصية السوية هي تلك التي تتكون من مجموعة الأفكار والملكات والتصرفات التي تحدد هوية الشخص وماهيته ونهجه في الحياة، مما يضفي عليه لوناً واتجاهاً وسلوكاً معيناً. وإذا ما أمعنا النظر في هذا الاستنتاج وحاولنا إسقاطه على الشخصية المسلمة أولاً ثم الشخصية العسكرية المسلمة ثانياً لأدركنا أن هذه الشخصية هي التي تحوز الخصائص والصفات المحمودة التي دعا إليها الإسلام، والتي تخلّت عن جميع الصفات والأخلاقيات والعادات الفكرية والنفسية التي نهى عنها الإسلام وزجر، حتى تعكس بصورة صحيحة وصادقة معاني الإسلام وحقائقه وقيمه ومثله، وتتهيأ للقيام بأعباء الرسالة والدعوة، أي إن الشخصية المسلمة هي التي شحنت بالمفاهيم التي تمخضت عن عقيدة التوحيد وسائر أركان الإيمان، وترعرعت ونشأت في مناخ الإسلام، وتجسّدت فيها قيم الرسالة الخالدة، وامتلأت بالقوة الدافعة والفعالية المؤثرة المستمدة من تلك

---

[١] منصور، د. طلعت وآخرون، أسس علم النفس العام، ص٣٣٤.

[٢] الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ٣٥٩/٧.

[٣] المرجع السابق، ٣٣/٥.

[٤] غالب، د. مصطفى، فصام الشخصية الازدواجية، ص٨٢.

[٥] الموسوعة العربية الميسرة، ص١٠٧٨.



القيم. هذه الشخصية هي التي تجعل الإسلام وحده المقياس العام للأفكار، وتجعل الميول كلها على أساس الإسلام، فهي مجموع عقلية الإنسان ونفسيته التي تكونت على قاعدة العقيدة الإسلامية [1] .

الشخصية الإسلامية هي التي تجسد المبدأ في الفكر والسلوك، في الموقع والموقف، هي التي تسخر كل الطاقات لكي يأخذ المبدأ طريقه إلى الحياة. هي التي تفقه الدين وتفهم الحاضر، وتحسن التعامل مع التراث والإفادة منه في تشكيل الحاضر واستشراف المستقبل. هي التي تنطلق من العقيدة وتحتفظ بالهوية، وتواجه التحدي، وتواكب العصر، وتتحرر من التقليد والجمود، وتكتشف الطاقات وتنظمها وتوظفها لتحويل القيم إلى برامج، والفكر إلى ممارسة، والأهداف إلى مشروعات تحقق التنمية الشاملة، وبذلك تلحق الرحمة بالعالمين.

٢- أهمية بناء الشخصية المسلمة:

لا شك أن الاهتمام بصياغة الشخصية المسلمة أمر في غاية الأهمية إذ هي جزء من مشروع نهضة الأمة، أو ليس الإنسان مستخلفاً لعمارة الأرض؟

إن القرآن الكريم يؤكد في مواضع عديدة على أن الكون وما فيه مسخر لخدمة الإنسان ونفعه، ليهدف من ذلك التأكيد على مركزية الإنسان وأنه محور الكون، والمكرّم الذي تخدمه قوانين الوجود، وهو الذي عليه أن يستثمر كل ما حوله لصالح الإنسانية، ويقوم بتوجيه إرادته وطاقاته كلها لنيل رضوان الله تعالى والعيش في كنف عبوديته.

إن غاية الحياة الإنسانية كما يقررها الله سبحانه هي عبادة الله، وهي الخلافة في هذه الأرض بهدي الله، والإنسان في هذه الخلافة، على ذلك المستوى وفي هذه الحدود، يتعامل مع الوجود كله، ومع خالق الوجود ابتداء، مع عالم الغيب كله إلى جانب عالم الشهادة، ليؤدي بهذا التعامل وظيفته، وليحقق غاية وجوده، فهو يحتاج إلى تكوين خاص صالح للتعامل مع هذه الأبعاد والآمال في كل اتجاه [2]. فالمسلم مستهدف في وجوده وقيمه ودينه وعلومه، لأن ميدان هذا الاستهداف هو الشخصية المسلمة وهويتها وصبغتها الإسلامية. يقول تعالى : ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة/٢١٧] ويقول: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة/٤٩]. ويقول: ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذاً لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً﴾ [الإسراء / ٧٣] .

[1] النبهاني، تقي الدين، الشخصية الإسلامية، ص ٨-٩.

[2] قطب سيد، مقومات التصور الإسلامي، ص٣٧٣.



ولهذا فالمعركة مع الذات هي أهم وأولى وأخطر لاستعادة الهوية، ورسم معالم الشخصية الإيمانية الرسالية، ومن أجل هذه الأهمية توجه الخطاب القرآني لبناء الإنسان وإعداد الذات، الإنسان المسلم الذي يشكل أرضية الحكم ومحله، وهو المقدمة اللازمة لمرحلة بناء المجتمع وتشريع الأحكام، وبه يتحقق التغيير الاجتماعي والوثوب الحضاري[1]. ولا يتحقق ذلك كله إلا إذا تبلورت الشخصية العسكرية المسلمة وصيغت وفق شرع الله في كتابه العزيز، حيث العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

٣- الشخصية العسكرية المسلمة ومقوماتها:

مما تقدم يمكننا أن نستخلص أن الشخصية العسكرية المسلمة هي مجموع الاستعدادات الموروثة، والصفات الجسمية الخاصة، والقدرات العقلية المعينة، والتي تبلورت كلها في نمط عسكري متكامل وناضج وفق الرؤية القرآنية والتوجيه النبوي، وهي شخصية تقوم على المقومات التالية:

أ- مجموعة الاستعدادات الأولية وما ينتج عنها من صفات نفسية.

ب- مجموعة الصفات الجسمية.

ت- مجموعة القدرات العقلية ومستوى الذكاء العام.

ث- الصفات النفسية العسكرية التي تولّدت من الخبرة المباشرة بالعمل العسكري، وهذه تشمل:

١- قوة الشخصية وتأثيرها بالآخرين.

٢- الإقدام والجرأة.

٣- المحاكمة العقلية في المواقف العسكرية المتأزمة.

٤- أهلية القيادة.

٥- ضبط النفس.

٦- الوجدان والشرف العسكري.

٧- التربية العسكرية النموذجية المتكاملة [2].

وعليه فإن الشخصية العسكرية هي في تكامل الصفات المذكورة وتآزرها بشكل يؤدي إلى سلوك عسكري ناجح، وإلى توافق وتلاؤم جدي إيجابي يكون قدوة للآخرين. ولهذا كان النبي الأكرم القدوة والمثال في تكامل الشخصية العسكرية بكل صفاتها ومقوماتها حتى قال بعض الصحابة: كنا إذا حمي الوطيس نحتمي برسول الله.

فالشخصية العسكرية المسلمة مبنية على تطابق كامل بين الاستعدادات الموروثة من عقيدة الإسلام وقيمه، وبين الصفات الجسمية التي نمى الإسلام قدراتها، وكذلك بين القدرات العقلية التي

---

[1] بدري، محمد محمد، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة ، ص٧١.

[2] غيبة، محمد سعيد، مقومات الشخصية العسكرية في الإسلام، ص ١٧-٢٠.



وعت عن حقائق الوجود بشكل يطابق الفطرة ويريحها، وينسجم مع الهدف الذي خلقت هذه القدرات لأجله، فظهرت في عمل عسكري كقدوة للجميع، ومثلاً يحتذى في كل عمل جهادي على مرّ الزمن من حيث الأداء، لأنها تمثل التضحية مع العفاف، والفداء مع الاخلاص، والقوة مع الإيثار[1] .

فالعظيم بالإسلام عظيم في كل شؤونه، ليس له ناحية مشرقة وأخرى قاتمة، ولذا لم يعرف التاريخ عظماء في كل نواحي الحياة كعظماء المسلمين: (إن دين الله لن ينصره إلا من حاطه من جميع جوانبه)[2] .

٤- أركان الشخصية العسكرية المسلمة:

الجندي المسلم أو الشخصية العسكرية المسلمة هي قبل كل شيء إنسان آمن بالله رباً وبمحمد نبياً، وعاهد نفسه العمل بما يدعو إليه القرآن من أوامر فيمتثلها، ونواه فيتجنبها، وعلى ذلك فأركان الشخصية المسلمة هي مجموع من العهود والمواثيق بينها وبين ما تأمر به العقيدة وتدعو إليه:

أ- عهد مع الله بأن باع نفسه لله والجهاد في سبيله، وعليه أن ينفر كلما دُعي إليه، وأن الله موف له بوعده الحق ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ﴾ [التوبة /١١١].

ب- عهد مع الله بأن الله قد كتب على نفسه نصرة المؤمنين وأنه ناصر من ينصره ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم /٤٧]. وقوله: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد/٧].

ت- عهد مع الله أنه سيربح بجهاده إحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(١٧٠) ﴾ [آل عمران/ ١٦٩-١٧٠].

ث- عهد مع الله أن لا يفرط ولا يضعف ولا يهن في جهاده، لأن الله مبتليه بالخوف والجوع ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران/ ١٣٩]. وبقوله ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّـا إِلَيْهِ رَاجِعونَ(١٥٦) ﴾ [البقرة/ ١٥٥-١٥٦].

---

[1] المرجع السابق، ص٢٠.

[2] ابن هشام، الروض الآنف في نفسير السيرة النبوية، ١٨٢/٢.



ج- عهد مع الله على الصبر في المكره والمنشط، وأن يستميت في مقارعته الأعداء عند اللقاء والقيام بالواجب ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ(١٦) ﴾ [الأنفال/١٥-١٦]. ويقول النبي ﷺ: "**واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**"[1] .

٥- صفات الشخصية العسكرية المسلمة:

إلى جانب هذه المقومات والأركان، صار لزاماً أن تتبلور الشخصية العسكرية المسلمة وأن تتخلق بجملة من الصفات والآداب تتحلى بها لتكون شاهداً حياً على حقيقة هذه الشخصية وما يصدر عنها. ومن ذلك ما يلي:

- المبايعة على السمع والطاعة استجابة لنداء الله ورسوله وإذعاناً لصوت الحق. [الفتح /١٠].
- الوفاء بالوعد والصدق ثقة بالله على ما عاهدوا الله عليه. [الأحزاب / ٢٣].
- الثبات عند اللقاء وذكر الله عند الفزع وذلك بعزيمة الإيمان أياً تكن النتائج.[الأنفال/٤٥].
- طرد الخوف والأوهام والحزن ومعايشة المعركة بكل المشاعر والعاطفة والوجدان .[آل عمران/ ١٣٩].
- الجرأة والشجاعة عند اللقاء. [محمد/٤] .
- الصبر حين البأس والمصابرة عند المجالدة والتيقظ وتقوى الله . [آل عمران/ ٢٠٠].
- مطاردة العدو ومتابعته حتى تحقيق النصر. [النساء/ ١٠١].
- عدم التسليم، فلا فتور ولا تخاذل . [محمد/ ٣٥].
- عدم الفرار من المعركة أياً كان الموقف والمشهد. [الأنفال / ١- ١٦] وكذلك [الأحزاب/ ١٦].
- عدم الاختلاف لا سيما أثناء المعركة حتى لا يدب الوهن ويتشتت الجيش . [الأنفال /٤٦].
- عدم التشاؤم من هزيمة تلحق بهم لأن البلاء يكشف الإيمان ويعطي الدليل على صدقه. [آل عمران /١٤٠].
- الترفع عن الطمع في المغانم سواء أثناء القتال أم بعده لأن من شأن ذلك أن يفسد النية ويشوه المقصد . [آل عمران/ ١٦١].
- الإيمان بأن الجهاد هو السبيل إلى الجنة، وأن الشهداء أرفع منزلة من غيرهم وهم مع النبيين في أعلى عليين . [التوبة/ ١١١].
- الاطمئنان النفسي والاقتناع بأن الله مع المؤمنين في جهادهم لا يتخلى عنهم. [الأنفال/ ١٧].

[1] أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ٣٠٧/١.



بهذه الصفات التي أرساها القرآن، صقلت الشخصية العسكرية المسلمة، واستحقت بذلك ثناء الله ومدحه ورضى النبي ﷺ عنها في الدنيا والآخرة [1].

أمام هذه الصفات والأركان والمقومات تبدو لنا الشخصية العسكرية المسلمة شخصية داعية. أو لم يكن خروج الجيش الإسلامي من أجل الدعوة إلى الله ونشر دينه والدفاع عن العقيدة. فليس الحرب غاية المسلمين بل هي وسيلة لدرء الفتنة وردّ العدوان وحماية الدين. وهذا يتطلب أن يكون الجندي المسلم فقيهاً بدينه، عالماً أحكام شرع الله لا سيما ما يتعلق منها بالحرب والقتال وما ينتج عن ذلك من أسر وقتل . فأحكام الجهاد والحرب من مبادئ الفن العسكري في الإسلام حتى يكون المسلم على بينة من أمر الله وشرعه في كل خطوة يخطوها، كيف يصلي في المعركة وكيف يتعامل مع العدو والبيئة والأسرى والقتلى. وهذا كله يتطلب شخصية واعية مدركة، شخصية عاهدت الله ورسوله، وحري بمن عاهد أن يفي بعهده.

[1] فرح، محمد، م. س. ، ص٢٩٠-٢٩٧.



ثالثاً : الشخصية العسكرية المسلمة عنوان وحدة الأمة ونهضتها

١- حقيقة الأمة الإسلامية:

ليست الأمة الإسلامية مجرد رابطة جنسية أو عرقية، ولا مجرد دولة ذات مؤسسات وأركان . وإنما هي أمة بفضل إيمان أعضائها المنتمين إليها، المكونين لها، إيماناً عميقاً نابعاً من أحاسيسهم المشتركة، بأن أمتهم واحدة وأن لها شخصيتها وخصائصها وأصالتها التي بها تتفرد عن سائر الأمم قديماً وحديثاً.

ولقد التقى الإسلام، في الصيغ التي اقترحها لمقومات الأمة، التقاءً تاماً مع هذا المنطق الاجتماعي السليم. وفي ضوء هذا المنطق، حدّد الإسلام لأمته منهاجها، ورسم ملامحها، ورسخ بين جميع أفرادها إرادة العيش المشترك لتسهم في صنع الحضارة وتوسيع آفاقها، وتؤدي رسالتها في نشر السلام وتحقيق العدل بين البشر.

من هنا كان للأمة الإسلامية شخصية فذة وملامح أصيلة وخصائص فريدة، بل استحقت أن توصف بأنها " أمة الأمم" أو " الأمة الوسط" استناداً لوصف الله تعالى بقوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران / ١١٠]. و قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾ [البقرة / ١٤٣]. فهي أمة الله وأمة دينه وشرعه . فلا تبتغي ديناً غير دين الإسلام، ولا نظاماً غير نظامه، ولا شرعاً غير شرعه، ولا حكماً غير حكمه، ولا عزة ولا كرامة إلا في ظلال رحمته وهداه ورضاه [١].

٢- موت الجماعات:

لقد صرح القرآن في غير موضع بموت الجماعات والأمم كما يموت الأفراد، إذ الموت نهاية كل حي ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران / ١٨٥]. والمراد بحتمية موت الجماعات، انطلاقاً من المعنى الديني والعلمي، أن الأسباب الحقيقية لموت المجتمع وزواله تنشأ من عوامل داخلية ليس أقلها رقابة المؤسسة العسكرية على سير المجتمع وحركته، حيث أوكلت إليه مهمة الحفظ والصيانة والثبات واليقظة، فلا مكان للمصادفات، ولا مكان أيضاً للخرافات والأوهام، ولا جدوى من النحيب والبكاء على ما فات ولا على ما مات.

وحين عرض الإسلام لهذه القضية بالذات، رصد من خلال نصوصه حوافظ البقاء وعوامل الاضمحلال. فالتصور الإسلامي لموت الجماعات والأمم، عند حلول أجلها، يقوم أساساً على تحلل عناصرها المكونة لبنيتها الاجتماعية. فقوة الأمة من قوة أبنائها، وتماسكها من تماسك وحدتهم . والرابط الأساس في هذه القوة وذلك التماسك هو وحدة الشخصية المسلمة في توازنها وتعقلها ووحدة الشخصية العسكرية المسلمة في تأكيد انتمائها ووجودها. فلا عزة للأمة إلا بوحدتها، ولا

---

[١] الهاشمي، محمد علي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، ص١١٧.



وحدة لها إلا بإحساسها بالخطر الواحد المشترك، ولا قيمة لهذا الإحساس نفسه إلا إذا أخلصناه لوجه الله الكريم . ولا يتأتى ذلك إلا من خلال عامل مهم جداً هو الجهاد في سبيل الله، جهاد يقوم بتحقيق الأمن وإشاعة السلام وصون الكرامة [1].

٣- الجهاد مقوم للوحدة:

الربط بين الجهاد وبين وحدة الأمة انطلاقاً من قيام الشخصية العسكرية المسلمة وتأسيسها على قاعدتي الإيمان والخلق الديني، نقصد به أمرين:

أ- أن يبقى المجتمع المسلم على إسلامه وعلى أيديولوجيته ونظامه.

ب- صيانة النظام الإسلامي وعقيدته من العدو الخارجي عليه.

فهذا العدو الخارجي هو الذي يكفر بهذه العقيدة، ويمعن في كفرانه والسخرية منها، فيسعى إلى تفتيت المجتمع الإسلامي وذوبانه في ثقافات وعقائد وفلسفات لا تمت لوجود المجتمع الإسلامي بأية صلة. بل ترتد عليه وبالاً وخسراناً. فالجهاد هنا هو الدفاع عن القيم الإسلامية وصيانتها من الاعتداء عليها. دفاعاً يتجلى في صور شتى. ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ ﴾ [البقرة / ١٩٣]. وقوله: ﴿ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة / ١٩٤]. فالشخصية العسكرية المسلمة التي فقهت مبادئ الشريعة وعرفت أحكام الجهاد على هدي من القرآن وتعاليم الإسلام، قادرة على إعطاء المثل الأعلى في الالتزام بالقيم والمبادئ ورسم معالم الصورة الموحدة لما يجب أن تكون عليه الأمة في سائر مراحلها ومنطلقاتها. فهي الضمان لكل ذلك، بل العامل الأكيد لاستمرارها وسيرورتها التاريخية [2].

٤- عظمة الإسلام في تشريعاته الجهادية:

إن الناظر في آيات القرآن الجهادية والقتالية يستخلص منها مجموعة من التشريعات والقواعد التي من شأنها أن تضع قانون الحرب والصلح والسلام في الإسلام، في أعلى مراتب العبقرية، بل في أرقى ما توصل إليه الإنسان في خبرته العسكرية.

ولو عرضنا واحدة لتلك الصور، فنأخذ مثلاً صلح الحديبية لرأيناه يمثل فتحاً مبيناً كما وصفه الله سبحانه في مطلع سورة الفتح ، بل كان حداً فاصلاً بين النضال والاستسلام، ورفضاً علمياً لمنطق التخاذل والضعف والاستكانة، ففي جملة الغزوات والحروب التي قادها رسول الله ﷺ، عنوان بارز على هذا النضال وشجاعة نادرة، فالحرب سجال، تعلو الموازين فيها وتهبط ولا تستقر على حال.

[1] البهي، د. محمد، الإسلام في الواقع الايديولوجي المعاصر، ص ٥١-٥٢.

[2] المرجع السابق، ص٥١-٥٢.



إن حرب الحق للباطل، وحرب الخير للشر، وحرب الصلاح للفساد، طويلة الأمد، تستدعي استنفاراً دائماً للشخصية العسكرية المسلمة، ويقظة وحذراً، للتعامل مع كل مستجد بالطرق المناسبة [1].

إن كل التطورات في حياة الأمة الإسلامية تؤكد أن الجهاد بكل صوره هو وسيلة الأمة لبقائها ووجودها، وهو الذي يحقق مقاصد الشريعة الخمس: حرمة الدم والعقل والدين والمال والعرض . فلا استسلام ولا تهاون. ولذلك عاتب الله المسلمين في المدينة وكانوا ما يزالون قلة مستضعفين على تلكئهم في نصرة إخوانهم في العقيدة فقال: ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً ﴾ [النساء/ ٧٥].

ولسوف تبقى هذه التشريعات نبراساً يضيء لنا معالم الطريق أنى اتجهنا، تبصراً بواقعنا، واستشرافاً لمستقبلنا، على هدي القرآن وإرشاداته، وتعاليم المصطفى ﷺ وسيرته. فلا مكان لليأس وقد انفتحت أمامنا السبل لتوحيد الموقف والهدف. فالشريعة كما يقول العلامة ابن قيم الجوزية مبناها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها، **وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين**

أ.د. علي فريد دحروج

الأربعاء ٥ محرم ١٤٢٨هـ

الموافق ٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٧م.

[1] الصالح، د. صبحي، الإسلام ومستقبل الحضارة، ص ٣١٥- ٣٢٦.



فهرس المصادر والمراجع

١- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م. .

٢- ابن هشام، الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت .

٣- ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، ط الميمنية، القاهرة، نشر دار صادر، بيروت، ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م. .

٤- بدري ، محمد محمد، الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، دار الرسالة، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م. .

٥- البهي، د. محمد، الإسلام في الواقع الايديولوي المعاصر، دار الفكر، بيروت، ط١/ ١٩٧٠م. .

٦- البوطي، محمد سعيد رمضان، الجهاد في الإسلام، كيف نفهمه وكيف نمارسه؟ دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ /١٩٩٧م. .

٧- الترمذي، محمد بن عيسى، تحقيق محمود نصار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠م. .

٨- حلاق، د. عبد الله، الصحوة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م. .

٩- الخياط، د. محمد نبيل، وإذا أعيد قراءة الجهاد، دار الفكر، دمشق، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م. .

١٠- الدسوقي، محمد، دعائم العقيدة في الإسلام، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس الغرب، ط١، ١٩٩٠م. .

١١- السيوطي، جلال الدين، أربعون حديثاً في فضل الجهاد، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م. .

١٢- شبلي، د. رؤوف، الجهاد في الإسلام منهج وتطبيق، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٠م. .

١٣- شلتوت، الشيخ محمود، الأجزاء العشرة الأولى من تفسير القرآن الكريم، دار القلم، القاهرة.

١٤- الشيخ الركابي، الجهاد في الإسلام، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٧م. .

١٥- الصالح، د. صبحي، الإسلام ومستقبل الحضارة، دار الشورى، بيروت، ط١، ١٩٨٢م. .

١٦- الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٤، لا.ت. .



١٧- غالب، د. مصطفى، فصام الشخصية الازدواجية، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٠م. .

١٨- غيبة، محمد سعيد، مقومات الشخصية العسكرية في الإسلام، دار المكتبي، دمشق، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م. .

١٩- فرح، محمد، المدرسة العسكرية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩م. .

٢٠- القاسمي، ظافر، الجهاد والحقوق الدولية والعامة في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٢م. .

٢١- قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. .

٢٢- قطب، سيد، مقومات التصور الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. .

٢٣- كمال، مصطفى أحمد، المدرسة العسكرية الإسلامية الأولى: القادة والفرسان،دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٤١٥هـ ،١٩٩٥م. .

٢٤- الكيالي، عبد الوهاب، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م. .

٢٥- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط٦، ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م. .

٢٦- الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م. .

٢٧- منصور، د. طلعت وآخرون، أسس علم النفس العام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م. .

٢٨- المودودي، أبو الأعلى، الجهاد في سبيل الله، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٢٩- النبهاني، تقي الدين، الشخصية الإسلامية، القدس، ط٢، ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م. .

٣٠- الهاشمي، محمد علي، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط٥، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م. .

٣١- هيكل، د.محمد خير، الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، دار البيارق ، بيروت، ط١، ١٩٩٣م. .

